رجل الدم والحديد

« ناپوليون بوناپرت »

ذلك الجبار الطاغية ! رأيته مضطجعاً ضجعتهُ الأخيرة وقد أخرس الموتُ لسانه وأبطل القبر صوته

جرَّد سيفه فأقلق الكون ، وتمادى في جبروُته فازعج السموات . وضع قدمه اليمنى على « اهرام » مصر ، واليسرى على « كرملين » القيصر ، ثم صاح باوربا صيحة مرعبة ، فكان لزئيرهِ دويٌّ ضجَّت له الأرض، وهلعت له الكائنات

رجل الدم والحديد !

كان يرى العالمَ كما يرى النسرُ النملة من علوّهِ الشاهق . هدم « الباستيل » ؛ ليطلق منه الأسرى ؛ ثم بنى على انقاضه باستيلاً آخر ، سجن فيه العالم أجمع . وكان السعد يخدمه ، فنصره في « اوسترلتز » ، وعقد له الظفر في « مارنجو » ، وحالفه في الاهرام . فلما رأى الله طغيانه ، قال : ليس حسناً أن يبني هذا النسر عشَّهُ في الجوّ لئلا يقلق السماء ؛ هلمَّ ننزل ونضربه فلا يُزعج الكائنات !

وكان ظلّ ذلك الجبار يُلقي رعباً على المسكونة ؛ وكلما رفع يده ، تتلَّمس اوربا رأسها ، لترى هل هو بعد على عنقها !

لو ولدت فرنسا بونابرتاً آخر لاضطرّ الله ان يتجسَّد مرة أخرى لانقاذ العالم من شرّه وطغيانه . ألم يحفر جهنماً اخرى في الأرض ، ليدفن فيها

اوربّا ؛ ألم يستو على عرش مصنوع من عظام القتلى ، ومصبوغ بدمائهم

وكان الفضآء مملوءاً بدويّ مزعج : انين الارامل وبكاء الثواكل ، وعويل النادبات ؛ من ساحة « اوسترلتز » الى برارى « موسكو »

ثم حدث بعد ذلك سكوتٌ طويل ، لأنّ الكائنات حبست انفاسها لتنظر الى شبح ذلك الطاغية . ونادى المريّخ ابنه فقال « تقلدّ سيفك ، أيها الجبار، ولا يغرّك نجم سعدك ؛ فان بعد « اوسترلتز » ، «موسكو» ؛ وبعد « مارنجو » ، « واترلو » !

وكانت « ألبا » تتشآءب ، « والقديسة هيلانة » تفتح ذراعيها ؛ وقد بدأ الشهاب المذنّب بالسقوط من علوّه الشاهق ، فترك وراءه خيطاً ضئيلاً كان يضعف كلما اقترب من الافق

ولاحت في ذلك الافق غمامة سوداآء بقدر كف اليد ؛ ثم أخذت تكبر وتعلو ، الى ان صارت تتهدد ذلك النجم اللامع

ولمح « نابوليون » تلك الغمامة ، فأراد ان يموت كما تموت الجبابرة . فصاح بالكائنات صيحة مرعبة من على قمة الاهرام وقال « ايها الجنود ، ان اربعين قرناً تنظر اليكم من قمم هذه الاهرام »

ثم مرّتِ الايامُ ، وذلك النسر يبسط جناحيه على المسكونة ؛ وكان خفوقهما يقلق العالقة فى قبورها ، ويلقي هلماً في قلوب البشر

الاّ انّ لكل « جليات » داوداً

فى ذلك اليوم سخر نابوليون من « ولنتون» . فأجابه ولنتن : «غداً نلتقي في واترلو ! »

وكان « نپتون »، اله البحر، يُمدّ سفينة لنقل « جليات » الى جزيرة القديسة هيلانة. وتنفّست ارامل اوربا، لأن الله نهض لينتقم لدماء ازواجهنّ، ويلجم ذلك التنّين !،

أما ناپوليون فظلّ يحلم. رأى كل شيء، ما عدا « ألبا » و « واترلو » وضاع عليه في الخارطة موقع القديسة هيلانة. لو درى بهـا يومئذٍ، لأخسفها في قعر البحر، وجعل مَن عليها اكلاً للتنانين العظام. ولكن « لوياثان » كان يحرسها ويدفع عنها صدمات الجبار

ولما سقط ذلك النسر، أقلته السفينة الى الباستيل المعدّ له واعتقلته بين أزرقين — ماءٍ وسماء. وتنفست أوربّا، لأن حملاً ثقيلاً أُزيح عن صدرها؛ واصبحت صروح اللوفر والتويلري تصفر فيها الريح

***

هوذا اليوم يرقد رقدته الأبدية — عظيماً في موته كما في حياته — والنفس تتهيّب الأسد ولو كان جثة هامدة

ألا نمْ يا صاحب الجبروت! لقد احسنت بموتك الى العالم، فهل كفّرت عن ذنوبك الى الله؟ انت تطلب المجد حتى في القبر؛ لذلك تنام في حفرةٍ عميقة حتى يكون كل من ينظر اليك حاني الرأس

أنت في حفرةٍ ترى القوم حولي ها خشوعاً فكيف لو كنت حيّا
ليت شعري وقد نزلت برمسٍ من لُمُك الدنيـا تركتَ وصيّا

***

فسلام عليك يوم طواك القبر ميتاً ويوم تُبعَث حيّا

سليم عبد الاحد

(٣١)